إنَّ الـكـرى بَـشَّـرنـي بـوصـلـكُـمْ نِـعْـمَ الـكـرى إنْ صَـدَقَـت أحـلامُـهُ
ولـسـتُ أدري والـذي سَـنَّ الـهـوى سِـهـامُـكُـم أَقْـتـلُ أم سـهـامُـهُ[1]

السَّنة الثانية والخمسون وخمس مئة

فيها حُوصرت بغداد، جَمَعَ محمد شاه التُّرْكمان والأكراد، وقرُبَ من بغداد، وبعث إلى الخليفة يَطلُب الخطبة والسَّلطنة، فقيل له: السُّلْطان هو سنجر وأنتم مختلفون.

وعَرَضَ الخليفة العساكر، وجاء خطلبرس من واسط، وعصى أرغش صاحب البَصرة، وأخذ واسطاً، واستعدَّ الخليفة للحصار، وجَمَعَ السُّفن إلى تحتِ التَّاج، وذلك في سادس عشرة المحرَّم، ونودي: لا يبقى في الجانب الغربي أحدٌ. فَعَبرَ النَّاسُ بأموالهم وأهلهم إلى دار الخلافة، وجاء محمد شاه، فعَبَرَ دِجلة من فوق حَربى، ونَهَبَ الدُّجَيْل وأَوَانا وغيرَها، وجاءه كوجك بعساكر المَوْصِل والجزيرة، واتَّفقا، وضرب محمد شاه خيامه بالرَّملة، وقطع الخليفة الجسر، وأخذ زواريقه إلى تحت التَّاج، وأخرج سبعة آلاف جوشن، ففَرَّقها، ولبس الناسُ السِّلاح، ونَصَبَ الخليفةُ المجانيق والعَرَّادات فكانت مئتين وسبعين منجنيقاً وعَرَّادة، في كلِّ منجنيق أربعون رجلاً، وكان يُخْرج كل يوم من الخزانة أكثر من مئة كُرّ حنطة يُطعِمُه النَّاس، وأَذِنَ للوعَّاظ في الجلوس بعد مَنعهم سنة وخمسة أشهر، فجعلوا يحرِّضون الناس على قتال البغاة والخوارج.

وفي العشرين من المحرَّم ركبت عساكر محمد شاه وكوجك، وجاؤوا إلى الرَّقَّة[2]، ووقفوا بإزاء التَّاج، ورموا بالنُّشَّاب إلى التَّاج، وركب إليهم صِبْيان بغداد في السُّفُن، ورموا بالنُّشَّاب وقاتلوهم، وضربوا أميراً منهم بالنفط فأحرقوه، وظهروا عليهم، فرجعوا.

فلما كان يوم السبت ثالث صفر، ركبوا بجمعهم، وانتشروا على دِجلة، وخرج إليهم عسكر الخليفة في السُّفن، وجاءتهم سفن من واسط فيها مِيرة وما يحتاجون إليه،

(١) الأبيات في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) الرقة هي البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد، وهي بالجانب الغربي، «معجم البلدان»: ٣/ ٦٠ .

فأقامت في المدائن، وجاءت أكلاك[١] من المَوصِل فيها ميرة وزادٌ، فأخذها أصحابُ الخليفة.

وفي سادس عشرة صفر وصل ركابيٌّ من هَمَذَان يخبر بدخول ملك شاه إليها، وأَنَّه نهبها، وكَبَسَ دور المخالفين الذين مع محمد شاه.

ولما كان عشية الجمعة سَلْخ صفر عَبَرَ في السفن جماعةٌ منهم إلى دار السُّلْطان، فخرج إليهم منكورس الشِّحنة، فَقَتَلَ منهم جماعةً، ورمى الباقون نفوسهم في الماء، وفرَّق الخليفة في الأتراك في يومٍ واحد خمسة وعشرين ألف نُشَّابة، ومئتين وستين كُرّ حنطة، ولم يأخذ من أحدٍ من أهل بغداد دِرهماً، ولا استقرض شيئاً.

ولما كان يوم الخميس العشرين من ربيع الأول جاؤوا بأربع مئة سُلَّم، واجتهدوا أن يلصقوها إلى السور فلم يقدروا، وأحرقها عوامُّ بغداد، وبَطَلَت الصَّلوات يوم الجمعة في الجانب الغَرْبي والرُّصافة، وكان يصلِّي في جامع القصر نفرٌ يسير، واحتوى محمد شاه على جانبي بغداد، ولم يبق إلا حريم دار الخليفة.

ووصلت امرأةُ سليمان شاه بنت خوارزم شاه، وكانت قد أَصلَحَت بين ملك شاه وبين الأُمراء بهَمَذَان، وخرجت متنكِّرة في زِيّ الصُّوفية للحاج عليها مُرقعة، وفي رِجلها طرسوس[٢]، كأنها من جُملة الشَّحَّاذين، فجاءت إلى عسكر محمد، وتوصلت إلى الرَّقَّة مقابل التاج، وقالت لبعض الملاحين: صِحْ لي بقائدٍ من قواد أمير المؤمنين يعرِّف الوزير أَنَّ لي إليه حاجة. فبعث الوزير إليها حاجباً، فعرَّفَته نفسها، فَعَبَرَ بها، فدخلت على الوزير، فقام لها قائماً، وأكرمها وعَرَّف الخليفة، فأفرد لها داراً قريبة منه، وحمَلَ إليها ما يصلح، وكان معها ركابي، فأخرج الكتب من ملك شاه بأَنَّه دخل هَمَذَان، ونقَضَ الكشك الذي لمحمد شاه، ونقض دور المخالفين ونهبهم.

---

(١) أكلاك جمع، مفردها الكَلَك: الطوف، وهو قرب ينفخ فيها، ويشد بعضها إلى بعض كهيئة سطح فوق الماء، تحمل عليه الميرة والناس، وربما كان من خشب يشد ويركب عليه، أو يسوَّى من قصب وعيدان يشد بعضها فوق بعض، ثم يقمط حتى يؤمن انحلالها. «معجم متن اللغة»: ٣/ ٦٤٩ ، ٥/ ٩٥ .

(٢) كذا في الأصل، وكأنها نوع من الأحذية كان يلبسها الشحاذون، ولم أقف عليها .

والقتال يعمل على بغداد كل يوم إلى سابع ربيع الآخر، فبعث محمد شاه إلى كوجك يقول: أنت وعدتني بأخذِ بغداد وما حَصَّلت، وقد أُخذت هَمَذَان، ونُهِبَت خزائني وأموالي وبيوت أصحابي، وأنا معوِّل على الرحيل. فقال كوجك: متى رحلت من غيرِ بلوغِ غَرَضٍ كنتَ سبباً لقَلع بيت السَّلجوقية وبيوتنا، ولكن اصبر حتى نعبر غداً إلى القوم، ونرمي هذه الغرائر[1] في الخندق، ونَنصِب السلالم، ونحمل حملةَ رجل واحد، فنأخذ البلد.

وجاء ركابي إلى محمد شاه يُخبره بأَنَّ ملك شاه أخذ له أربعة ألاف بُختية، ونُهبت خزائنه وبيوت أمرائه، وبلغ أمراءه، فاستأمن منهم جماعة إلى الخليفة، وبعث ملك شاه يقول للأُمراء: إن لم تنفصلوا عن بغداد وإلا سَبيتُ نساءكم، وقتلت أولادكم، وأنا منتظر أمر أمير المؤمنين، فإنْ أمرني بقَصدكم قَصَدتُكم، وإنْ أمرني أن أسير إلى المَوصل سرت.

واستوحش محمد شاه من كوجك، وقال: أنتَ أخربتَ بيتي. وهَمَّ بالقَبْض عليه، فاستوحش زين الدين منه وقال له: إن لم آخذ لك بغداد في ثلاثة أيام، وإلّا فما أنا كوجك. فلمَّا كان يوم الأحد ثاني عشرة ربيع الآخر قال كوجك لمحمد: اعبر أنتَ اليوم، وأُصبح يوم الثلاثاء على القتال حتى أعبر أنا ونحن على تعبئةٍ. قال: نعم. وأصبح محمد شاه، فعبر أصحابه إلى الجانب الشَّرقيِّ على الجسر، فلما كان وقت العشاء قطع كوجك الجسر، وضرب على خزائن محمد شاه وخيله وخيامه، وسار طالباً المَوصِل، وأحرقَ الغِلال التي كانت في الأسواق، وبقي محمد شاه في أصحابه لا غير في الجانب الشَّرْقي لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، فسار ليلة الأربعاء طالباً هَمَذَان، وأمر الخليفة أن لا يتبعوه، وجاءت الرَّجَّالة إلى دار السُّلطان فنهبوها، وكانت فيها أموال كثيرة حتى قلعوا الأبواب والسقوف.

وسبب رحيلهم أن الوزير ابنَ هُبيرة أصلح كوجك، وضمن له مالاً وبلاداً، وقال: ما يحصل لك من محمد شاه شيء، وربما قَبَضَ عليك، وقيل: إنَّ كتاب نور الدين وصل إلى كوجك يقول: الواجب أن تَذهَبَ إلى تحت التَّاج، وترمي نفسك وتعتذر،

(١) الغرائر جمع، مفردها الغرارة: وهي الجوالق، وهو وعاءٌ من أوعية الطعام البُرّ، والعامة تقول: شوال. انظر «معجم متن اللغة»: ١/ ٦٠٧، ٤/ ٢٨١ ، وكانوا قد حشوا هذه الغرائر حصى ورملاً ليسدوا الخندق. انظر «المنتظم»: ١٠/ ١٧٢ .

وإلّا قصدتُ المَوصل وأخربتها ونزلتُ بغداد، وأين ما كنت قَصَدتُك. وقيل: إنَّ ابن هُبيرة كان يُنْشئ كلَّ يومٍ مكاتباتٍ على لسان مَنْ بهَمَذَان من الأُمراء، ويعطيها للرِّكابية فيوصلونها إليهم بأَلطفِ حيلة بأنها قد وردتنا من هَمَذَان، وكُتُب من الأُمراء الذين مع محمد إلى ملك شاه فيوصلونها إليهم، حتى بلغ من أمره أنه أعطى ركابياً كُتُباً، وقال له: اجعلها في ثيابك، واقْرُبْ من عبيدهم، واخلعْ ثيابك، ودعْها على جانب دِجْلة، واسبحْ إلى الجانب الشَّرقي. ففَعَلَ، وجاء أصحابُ محمد فرأوا الثِّياب فقالوا: قد غَرِق صاحِبُها، نَزَلَ يسبح وبقيتْ هذه. ففتَّشوها، فظهرت الكتب، فحملوها إلى محمد شاه وهي من ملك شاه إلى أُمراء محمد شاه يقول: اعبروا إلى الجانب الشَّرقي في اليوم الفلاني، فأنا واصِل، وأمسكوا محمد شاه. فقال محمد شاه: وأين الذي كانت معه هذه الكتب؟ فقالوا: غرق وبقيت ثيابه. فتخيَّل من أُمرائه، فرحل.

وفيها قدم بغداد ابنُ الخُجَندي الفقيه، ومعه العالم الحنفي صاحب «التعليقة»، وخَرَجَ الموكب للقائهما.

وفيها قدم أبو الوقت بغداد، وأَسمَعَ البخاري عن الدَّاوودي، وألحقَ الصِّغار بالكبار.

وفيها كانت زلازلُ عظيمةٌ بالشَّام وحلب وحماة وشَيزَر وفامية وكَفرطاب والمعرَّة وحمص وأنطاكية وطرابُلس ودمشق وجميع العواصم، وهلك خَلْقٌ كثير حتى روي أَنَّ معلِّماً كان بحماة في كُتَّابٍ، فقام من المكتب يقضي حاجة ثم عاد، وقد وقع المكتب على الصِّبيان، فماتوا بأَسْرهم، [وأعجب من هذا أنَّه لم][1] يأتِ أحدٌ يسأل عن صبيٍّ كان له في المكتب. ووقعت أبراجُ القِلاع بحلب وغيرها، وهَلَكَ جميعُ من في شَيزَر إلا امرأةً واحدة وخادماً، وساخت[2] قلعةُ فامية، وانشقَّ تل حَرَّان نصفين، وظهر فيه بيوتٌ وعمائر [و] نواويس[3]، وانشقَّ في اللاذقية موضع، فظهر فيه صَنَمٌ قائمٌ في الماء، وخَرِبَتْ صيدا وبيروت وطرابُلس وعكَّا وصور، وجميعُ قِلاع الفرنج، فقال الصَّالح بن رُزِّيك يعرِّضُ بما نال أهلَ الشَّام والفرنج: [من الخفيف]

---

(١) في (ع) و (ح): فماتوا بأسرهم، فلم يأت أحد، والمثبت من (م) و (ش).

(٢) أي غاصت. "معجم متن اللغة": ٣/ ٢٤٢.

(٣) النواويس جمع، مفردها الناووس: مقابر النصارى، «معجم متن اللغة»: ٥/ ٥٧٤، وما بين حاصرتين من (م) و (ش).

كـرِه الـشَّـامُ أَهْـلَـهُ فـنـفـاهـمُ فـحـقـيـقٌ أن لا يـقـيـمَ لـبـيـبُ
إنْ تـجـلَّـت عـنـه الـحـروبُ قـلـيـلاً خـلَّـفـتـهـا زلازِلٌ وخُـطُـوبُ
رَقَـصَـتْ أَرضُـهُ عَـشِـيَّـةَ غـنَّـى الـر عـدُ فـي الـجـوِّ والـكـريـمُ طَـروبُ
وتَـثَـنَّـتْ حِـيـطـانُـهـا فـأمـالـتْـ ـهـا شَـمـالٌ بـزمـرِهـا وجَـنُـوبُ
لا هُـبُـوب لـنـائـمٍ قـد أنـامَـتـ ـهُ والـعـاصـفـاتُ فـيـهـا هُـبـوبُ
وأرى الـبَـرقَ شـامـتـاً ضـاحِـكَ الـسِّـ ـنِّ والـجـوُّ بـالـغـمـام قَـطُـوبُ
ذكـروا آيـةً تـذوبُ بـهـا الـسُّـحْـ ـب فـمـا لـلـصُّـخـور مـنـهـا تَـذُوب[1]

قال المهذَّب بن الزُّبير[2] يخاطب الصّالح بن رُزِّيك في الزَّلزلة: [من الكامل]

مـا زُلْـزِلَـتْ أرضُ الـعِـدى بـل ذاكَ مـا بـقـلُـوبِ أَهـلـيـهـا مـن الـخَـفَـقـانِ
وأظـنُّ أَنَّ حـصـونَـهُـمْ سَـجَـدَتَ لـمـا أُوتـيـتَ مـن مُـلـكٍ ومـن سُـلْـطـانِ
والـنَّـاسُ أَحْـرى بـالـسُّـجـودِ إذا غـدا لـعـلاكَ يَـسـجُـدُ شـامـخُ الـجُـدرانِ[3]

وكان الصَّالح بن رُزِّيك قد خرج من مِصر بعساكرها إلى السَّاحل، وساعده نورُ الدِّين، فالتقوا على غزَّة، فكانت الدَّبرة[4] على الفرنج، فلم يُفلت منهم أحد، فقال الجليس يخاطب الصَّالح بن رُزِّيك: [من البسيط]

رُعْـتَ الـفـرنـجَ بـكـسـرٍ لا انـجـبـارَ لـه ذلَّـتْ لـه بـعـدمـا عَـزَّت جـبـابِـرُهـا
حـاشَـت جـنـودُك بَـرَّ الـمـشـركـيـن فـمـا يـنـفـكُّ مـن بـعـد مَـرْمـاهـا يُـغـادِرُهـا

وقال شاعر دمشقي في الزلزلة[5]: [من الخفيف]

روَّعَـتْـنـا زلازلٌ حـادثـاتٌ بـقـضـاءٍ قَـضَـاه رَبُّ الـسَّـمـاءِ

---

(١) القصيدة في «ديوان أسامة ابن منقذ»: ٧، ١٥٣، ١٦٤، ٢٩٦ مع اختلاف في بعض ألفاظها، وقد ساقها كذلك أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١/ ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير المتوفى سنة (٥٦١هـ)، انظر ترجمته في «الخريدة» قسم شعراء مصر ١/ ٢٠٤-٢٢٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) انظر الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء مصر: ١/ ٢١٠، وقد ساق منها مقاطع طويلة، وانظر «الروضتين»: ١/ ٢٦-٢٧.

(٤) الدبرة: الهزيمة في القتال. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٣٧٢.

(٥) في (ع): وقال أيضاً، والمثبت من (ح).

هَـدَمَـتْ حِـصـنَ شَـيـزَرٍ وحـمـاةً أهـلَـكَـتْ أَهـلَـهـا بـسـوء الـقـضـاءِ
وبـلاداً كـثـيـرةً وحُـصُـونـاً وثـغـوراً مـوثَّـقـات الـبـنـاءِ
وإذا مـا رَنَـتْ عـيـونٌ إلـيـهـا أَجْـرتِ الـدَّمْـعَ عـنـدهـا بـالـدِّمـاءِ[1]
وإذا مـا قـضـى مـن الـلـه أمـرٌ سـابـقٌ فـي عـبـاده بـالـمَـضَـاءِ
حـار قـلـبُ الـلَّـبـيـبِ فـيـه ومَـنْ كـا نَ لـه فِـطْـنَـةٌ وحُـسـنُ ذكـاءِ
جَـلَّ ربـي فـي مُـلـكـه وتـعـالـى عـن مـقـالِ الـجُـهَّـال والـسُّـفـهـاءِ

وفيها ملك نور الدين [محمود][2] حصن شَيزَر، وزال ملك بني منقذ الكِنانيين.

ذِكرُ أَيَّامهم: قد ذكرنا[3] أَنَّ الأمير أبا الحسن عليَّ بن المقَلَّد بن نَصر بن منقذ ملكها سنةَ أربع وسبعين وأربع مئة، وتوفِّي سنةَ تسع وسبعين، وملكها ولده نَصر بنُ علي، وكان حَسَنَ السِّيرة، ولما احتُضر أوصى إلى أخيه أبي سلامة مُرشد بنِ علي فقال: والله لا وَليتُها، ولأخرجَنَّ من الدُّنيا كما دخلتُ إليها. وولاها أخاه أبا العساكر سلطان ابن علي، وكان أصغر سِنًّا منه، فاتفقا مدَّة على أحسن صُحْبة، فولد مرشد أولاداً ذكوراً، فكَبِروا، وسادوا، منهم: عِزّ الدَّولة أبو الحسن علي ومؤَيَّد الدولة أُسامة ابنا مُرْشد، وكانوا على ما قيل عشرين ولداً، ولم يولد لسلطان ولدٌ ذكر إلى أن عَلَتْ سِنُّه، فجاءه أولادُه صغار، فحسد أخاه مُرْشداً على أولاده، وخاف على أولاده الصِّغار منهم، وكانا فاضِلَيْن يقولان الشِّعْر، وسعى الوشاة بينهما، فتغيَّر كلُّ واحد منهما على صاحبه، والأمر بينهما مستورٌ إلى سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، فمات مرشد، فقوي أخوه سُلْطان على أولاد أخيه، فأخرجهم من شَيْزر.

وحكى مؤيد الدَّولة أسامة بن مرشد سبب إخراجهم، فقال: كنتُ من الشجاعة والإقدام على ما قد عَلِمَه النَّاس، فأُخبرت أَنَّ بدَخَلةٍ[4] قَريبة من شَيْزر أسداً ضارياً، فركبتُ فرسي، وأخذتُ سيفي، ولم أُخبر أحداً من النَّاس لئلا يمنعوني عنه، فلما أتيتُ الدّخلة[4] نزلتُ

(١) في (ع) و (ح): بالبكاء، والمثبت من «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٢٧، و «الروضتين» ١/ ٣٣٣، والأبيات فيهما.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٣) في حوادث سنة (٤٧٤هـ).
(٤) في (ع) و (ح): بدجلة -بالجيم- وإخالها دخلة -بالخاء- وكأنها بمعنى الأجمة، لأن الدخل: الشجر الملتف. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٣٨٨.

عن فرسي، وربطتُها، وشَهَرَتْ سيفي، فلمَّا رآني الأسد حَمَلَ عليَّ، فضربتُه بالسَّيْف على رأسه، فقتَلتُه، ثم قطعتُ رأسه، وتركتُه في مخلاة وعدتُ إلى شَيْزر، فألقيتُ الرأس بين يدي والدتي، وحدَّثتُها الحديث، فقالت: يا بنيَّ، تجهَّز للخروج من شَيْزر، فوالله لا يمكِّنك عَمُّك من المقام فيها، ولا لأحدٍ من إخوتك وأنتم على هذه الحال من الإقدام والجُرْأة. وبلغ عَمِّي، فأمر من الغد بإخراجنا كلِّنا، فتفرَّقْنا في البلاد، وقَصَدْنا نورَ الدين[1] لينجدنا على عَمِّنا، فلم يمكنه قصده خوفاً أن يسلِّم الحِصن إلى الفرنج.

ثم توفي سُلطان وولي أولاده، فكاتبوا الفرنج، وبلغ نور الدين، فازداد عليهم حنقاً، واتفق مجيء الزَّلازل، فهدمت الحصن، وهَرَبَ أولاد عَمِّي سُلْطان، فجاء نور الدِّين، فوقف عليها وعمرها أحصن ما كانت، وهي مدينة حصينةٌ على حَجَرٍ عالٍ، وله طريقٌ منقور في الجبل في طرفه، وله جسر خشب، فإذا قُطع تَعذَّر الوصول إليه، والعاصي خندقه.

وقال العماد الكاتب: الأُمراء بنو منقذ الكنانيون ملوكُ شَيْزر، أهل المجدِ والحَسَب، والفَضْلِ والأدب، والسَّماحة والفصاحة، والحماسة والحراسة، والإمارة والرِّياسة، اجتمعت فيهم أسباب السِّيادة، ولاحت من سيرتهم أسرار السَّعادة، وخلفوا المجدَ أولاً كآخر، وورثوا الفَضْلَ أصاغر عن أكابر، فأما الأدبُ فهم شموسُه المشرقة، ورياضُه المُوْنِقة، وحياضُه المُغدِقة، وأمّا النَّظْمُ فهم فُرْسان ميدانه، وشجعان فرسانه، وأرواح جُثْمانه، وما زالوا مالكي شَيْزر، معتصمين بحصانتها، ممتنعين بممانعتها حتى جاءت الزَّلزلة في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، فخرَّبت حِصنها، وأذهبَتْ حُسْنها، وتملَّكها نورُ الدين، فأعاد بناءها، وهذَّب أبناءها، وتشعَّبوا شُعَبا، وتفرَّقوا تفرُّقَ أيدي سبا[2].

وحجَّ بالنَّاسِ من العراق قيماز.

---

(١) هذه الرواية ساقها ابن الأثير في «الباهر»: ١١٢ وفيها: فقصدوا الملك العادل نور الدين. فقوله هنا: «وقصدنا نور الدين» على أنها من تتمة قول أسامة، فيه لَبْس، وكلا العبارتين خطأ، لأن أسامة حين خرج هذه المرة من شيزر وهي سنة (٥٣٢هـ) قصد دمشق، وأقام بها ثماني سنين، ثم رحل منها إلى مصر سنة (٥٣٩هـ)، ولم يكن نور الدين قد ملك بعد، وقد اتصل أسامة بنور الدين بعد عوده من مصر سنة (٥٤٩هـ). انظر «الاعتبار» لأسامة ابن منقذ: (٢٧-٢٩) (طبعة السامرائي)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر: ٢/ ٧٠٢، وانظر «الروضتين»: ١/ ٣٥٥، ٢/ ٤٣٢

(٢) انظر «سنا البرق الشامي»: ١/ ٢٢٦-٢٢٧، و«الروضتين»: ٢/ ٤٣٢-٤٣٣.

وفيها توفي

أحمد بن عمر أبو الليث السَّمَرْقَندي الحنفي[١]

كان حسنَ السَّمت، وصنَّف التَّصانيف الحِسان، وحَجَّ وعاد إلى بغداد، وودَّع الناس، وأنشد: [من مخلع البسيط]

يا عالم الغَيْب والشَّهادَه ... منِّي بتوحيدك الشَّهادَهْ
أسأَل في غُربتي وكَرْبي ... منك وفاتي على الشَّهادَهْ

وخرج في قافلةٍ، فلمَّا كان قريباً من قُومِس، قَطَعَ قومٌ الطَّريق على القافلة، وقتلوا جماعةً من العلماء، وقتلوه شهيداً، رحمه الله

أحمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله[٢]

ولد سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة، ومن شعره دوبيت:

ساروا وأقام في فؤادي الكَمَدُ ... لم يَلْقَ كما لقيتْ منهم أَحَدُ
شوقٌ وجَوًى ونارُ وَجْدٍ تَقِدُ ... مالي جَلَدٌ ضَعُفْتُ مالي جَلَدُ[٣]

وقال: [دوبيت]

هذا ولهي وكم كَتَمْتُ الولها ... صَوْناً لحديثٍ منْ هوى النَّفْس لها
يا آخِرَ محنتي ويا أوَّلها ... أيامُ عنائي فيك ما أطولَها[٤]

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٧٧ ، و«الجواهر المضية»: ١/ ٢٢٦-٢٢٨ ، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٦ ، و«الطبقات السنية»: ١/ ٤٨١-٤٨٣ ، و«الفوائد البهية»: ٢٩ .

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٣٨٣-٣٨٦ ، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٢٧-٢٢٨، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٠٣-٣٠٤، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ١/ ٤٨٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٦ ، وقد ذكر العماد وابن خلكان أنه توفي سنة (٥٥٢هـ) أو (٥٥٣هـ). وكان شاعراً ماهراً.
وهو أخو الفقيه الشافعي محمد بن المبارك، وقد ترجم له ابن الجوزي في «المنتظم» ١٠/ ١٧٩-١٨٠ و "ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٢٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٧٦-١٧٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ١/ ٤٨٦-٤٨٧، و«الوافي بالوفيات» ٤/ ٣٨١ ، وذكروا وفاته في سنة (٥٥٢هـ) كذلك.

(٣) «خريدة القصر»: مج١/ ج٣/ ٣٨٤ .

(٤) «خريدة القصر»: مج١/ ج٣/ ٣٨٥، «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٢٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ، وروايته في «الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٠٣ مثل رواية السبط، والصفدي غالباً ماينقل عنه دون أن يسميه.

الحسن بن جعفر بن حمزة، البَعْلبَكي الأَنْصاري[١]

ويعرف بابن بُرَيك، من ولد النُّعْمان بن بشير، نَظَرَ في وقف جامع دمشق، ومن شعره: [من الطويل]

أَحِنُّ إليكمْ كلَّما هَبَّتِ الصَّبا ... وأسأَلُ عنكُمْ كلَّ غادٍ ورائحِ
وأذكُرُ ذاكَ المَوردَ العَذْبَ منكُمُ ... فَيغْلِبُني ماءُ الجفونِ القرائحِ
وكمْ ليَ منكُمْ أَنَّةٍ بعد زفرةٍ ... تُهيِّجُ وجْداً كامناً في الجوانحِ
كأنَّ فؤادي قد تذكَّر ما مضى ... بقُربكمُ تَغتالُه[٢] كفُّ جارحِ

وقال: [من الطويل]

بقلبيَ داءٌ من فِراقِ الحبائِبِ ... أَمرُّ مذاقاً من هجومِ المصائِبِ
وفي كبدِي من لوعةِ البَيْنِ حرمةٌ ... لها في الحشا وخْزٌ كلدغِ العقارِب
فهل لفؤادي من جَوى البَيْنِ راحةٌ ... أُبَرِّدُ أَشْجاني بها ومشاربي
فما ليَ والدَّهْرَ الخؤونَ كأنَّما ... جَنَيتُ فجازاني ببُعدِ الأقاربِ
أبى الدَّهْرُ إلا شَتَّ شَمْلي وفُرقةً ... وروعةَ مَصحوبٍ لغيبةِ صاحِبِ
حَبَانيَ من بعدِ الأَخِلاء جَفْوةً ... ولا سيَّما كون الحسودِ مُناصبي
سأطلبُ وَصلاً أو أموتُ بحَسْرَةٍ ... فَيَحمدُني بعد المذلَّة عائبي
سقى الله مَغْنى من شقيتُ لبينهمْ ... من الوابلِ الوَسْميِّ أَعْذَبَ صايبِ
وقفتُ به أَذْري دموعاً كأنَّما ... تحدَّرُ سُحْباً من جُفُون السَّحائبِ
وكَمْ لي بِهِ منْ أَنَّةٍ بعد وِقْفةٍ ... يَرِقُّ بها لي كلُّ ماشٍ وراكبِ
يقولون صَبراً علَّ ذا البَيْن ينقضي ... ويَسْعَدُ مُشتاقٌ برؤية آيبِ
لعَمْريَ ما صَبْري مفيدِيَ راحةً ... ولكنَّه للبَينِ ضَربةُ لازِبِ
سهامُ الرَّزايا دَهْرَها ترشُقُ الورى ... وجُمْلَتُها ما بين مُخْطٍ وصائِبِ
يزيدُ غرامي كلَّما هَبَّتِ الصَّبا ... وأَصبُو إليكُمْ يا مُنى كلِّ طالبِ[٣]

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٤/ ٤٢٠-٤٢٢، و«مختصره» لابن منظور: ٦/ ٣٢٣-٣٢٥.

(٢) كذا في (ع)، وهي كذلك في تاريخ «ابن عساكر»، وفي (ح) كتب تحتها بخط دقيق: فاغتاله، إشارة إلى أنها نسخة.

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر».

وقال أيضاً من شعره: [من مجزوء الرمل]

قابلِ البَلْوى إذا حَلَّـ ـتْ بصَبْرٍ ومَسَرَّهْ
فلعلَّ اللهَ أنْ يو لِيكَ بعد العُسْرِ يُسْرَهْ
كم عَهِدْنا نكبةً حلَّـ ـتْ فولَّتْ بعد فتره
لن ينالَ الحازمُ النَّدْ بُ[1] مُنَى نَفسٍ بقُدْرَهْ
لا ولا يَدْفَعُ عنهُ من صروفِ الدَّهرِ ذَرَّهْ
كلَّ يومٍ لكَ من دُنـ ـيا كَ بُؤْسٌ وَمَضَرَّهْ
والليالي ناتجاتٌ للورى هَمًّا وفِكْرَهْ[2]

وكانت وفاتُه ببَعلبك في المحرَّم.

السُّلْطان سنجر بن ملك شاه[3]

ابن ألب رسلان، أبو الحارث، وقيل اسمه أحمد، ويسمَّى بسنجر، لأنَّه ولد بسِنْجار في رجب سنة تسع وسبعين وأربع مئة حين توجَّه أبوه إلى غَزْو الرُّوم[4]، ونشأ ببلاد الخَزَر، وسكَنَ خُراسان، واستوطن مَرْو، وكان قد دخل بغداد مع أخيه محمد على المستظهر بالله، قال سنجر: لما وقفنا بين يديه ظن أنِّي أنا السُّلْطان، فافتتح كلامه معي، فخدمتُ وقلتُ: يا مولانا أميرَ المؤمنين السُّلْطان هو أخي. وأشرتُ إلى محمد، ففوَّض إليه السَّلْطنة، وجعلني ولي عهده.

فلما مات محمد خوطب سنجر بالسَّلْطنة، واستقام أمره، وكان عادلاً، وجلس على سرير الملك إحدى وأربعين سنة، وكان قبلها في مُلكٍ نحواً من عشرين سنة، وخُطِبَ

(١) الندب: الخفيف في الحاجة. «اللسان» (ندب).

(٢) في «تاريخ ابن عساكر»: وحسره، والأبيات فيه.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» ٥٢٨ ، و«الأنساب»: ٧/ ١٥٩، و«المنتظم» ١٠/ ١٧٨ ، «مختصر تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢٣٦-٢٥٩، «الكامل»: ١١/ ٢٢٢-٢٢٣، و«الروضتين»: ١/ ٣٥٩-٣٦٠ ، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٤٢٧-٤٢٨، «الوافي بالوفيات»: ١٥/ ٤٧١-٤٧٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٦٢-٣٦٥ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ذكر السمعاني في «الأنساب»: أن العادة عند الأتراك أنهم يسمون أولادهم بأسماء المواضع.

له على عامَّة منابر الإسلام، وأسره الغُزُّ أربع سنين، ثم خَلَصَ، فجَمَعَ إليه أطرافَه بمَرْو، وكاد مُلْكُه يرجع إليه، فأدركَته المنيَّة يوم الاثنين رابع وعشرين ربيع الأول، ودفن بمرو في قُبَّةٍ بناها لنفسه سماها دار الآخرة.

وقال أبو سَعد ابنُ السَّمْعاني: دخلنا عليه في مَرَضِ موته في جماعةٍ من العُلَماء والمحدِّثين، فصافَحَنا بكلتا يديه، وسأَلنا الدُّعاء، وقال كلاماً بالفارسية معناه: ما يفي هذا بذاك. وبكى وبكينا لبكائه، ودُفِنَ في قُبَّته بمرو في مدرسته التي بناها.

وقيل: إنَّه مات بتِرْمِذ.

وروى الحديثَ عن النبيِّ ﷺ، وأصابه صَمَمٌ في آخر عمره، ولما بلغ خبره إلى بغداد قطعوا خُطْبته، ولم يقعدوا له في العَزَاء، فقعدت امرأةُ سليمان شاه له يوماً، فبعث الخليفة، فعزَّاها فيه، وأقامها من العزاء، واستقرَّ المُلْك بعده لابنِ أخيه أبي القاسم محمود بن محمد بن ملك شاه[١].

عبد القاهر بنُ عليّ ابن أبي جَرَادة[٢]

أبو البركات[٣]، مخلِّص الدِّين الحلبي.

كان فاضلاً أميناً على خزائن نور الدِّين محمود بن زنكي، وتوفِّي بحلب في رمضان.

علي بن مَرْضي بن علي[٤]

أبو الحسن، المَعَرِّي التَّنُوخي.

---

(١) كذا قال، وهو وهم، إذ إن محموداً هذا توفي سنة (٥٢٥هـ)، ولعل المراد هو محمود بن محمد الخان ابن أخت السلطان سنجر، فقد ولي خراسان عقب سنجر، وخلع سنة (٥٥٧هـ)، انظر «مختصر تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢٥٩، «الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٢٨-٥٢٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٢١٩-٢٢٣، و«معجم الأدباء»: ١٦/ ١٦-١٩، و«الروضتين»: ١/ ٣٦٠، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٤٩.

(٣) في (ع) و (ح): أبو المبرد، وهو تحريف، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ١٢/ ٥٤٢-٥٤٤، و «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٤٩.

سكنَ دمشق، وعاد إلى حماة، فمات في الزَّلْزلة، ومن شِعْره: [من مجزوء الكامل]

لا تُـقْـدِمَـنَّ عـلـى الـمـظـا ... لِـمِ واقـصِ عـنـك الـظُّـلـمَ بُـعـدا
فـالـدَّهْـرُ قـد يُـعـدِي عـلـى ... مَـنْ كـان فـيـه قـد تـعـدَّى[1]

محمد بن عبد اللطيف بن محمد[2]

ابن ثابت، أبو بكر الخُجَنْدي، صَدْر الدِّين، من بيت الرِّياسة والفَضْل والتَّقْدمة بأصبهان.

قَدِمَ بغداد، ودَرَّس بالنِّظامية، ووعظ بها، وكان يجلس وحوله السُّيوف، وهو أشبه بالوزراء منه بالعلماء، وكان الملوك يَصدُرون عن رأيه.

خرج من بغداد يريد أصبهان، فبات بقريةٍ، فأصبح ميتاً في شوَّال، وحُمِلَ إلى أصبهان.

محمد بن عُبيد الله، أبو بكر ابن الزَّاغُوني[3]

ولد سنةَ ثمانٍ وستين وأربع مئة، وقرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وكانت وفاتُه في ربيع الآخر، ودُفِنَ عند أخيه[4] بباب حَرْب.

محمد بن أبي الهيجاء الأَصبهاني[5]

قَدِمَ بغداد أيَّام المقتفي، فولاه عَرْضَ العساكر، وكان ذا دهاء، ومن شعره: [من الطويل]

إذا لـم أَنَـلْ فـي دولـة الـمَـرْءِ غـبـطـةً ... ولـم يَـغْـشَـنـي إحـسـانُـه ورعـايـتُـهْ
فـسِـيَّـان عـنـدي مـوتُـه وحـيـاتُـه ... وسِـيَّـان عـنـدي عَـزْلُـه وولايـتُـه[6]

وكانت وفاته ببغداد.

---

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر».

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء أصبهان: ١/ ٢٤٢ - ٢٤٥ ، و «المنتظم»: ١٠/ ١٧٩، و«الكامل»: ١١/ ٢٢٨، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٣٣-١٣٤ و «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٨٦-٣٨٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٧٩ ، و «معجم البلدان»: ٣/ ١٢٧ ـ وفيه وفاته سنة (٥٥١هـ) ـ و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٧٨-٢٩٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) هو علي بن عبيد الله، المتوفى سنة (٥٢٧هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها .

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء أصفهان: ١/ ١٣٩-١٤٠ ، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ١٧٠ .

(٦) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ١٤٠ .

يحيى بن عيسى بن إدريس، أبو البركات الأنباري[١]

قرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، [وقرأ الأدب على الزّبيدي][٢]، وتفقه [على القاضي الحرَّاني][٢] وكان يعظ، فمن حين يَطْلُعُ المنبر إلى حين ينزل [الأرض][٢] لا يزال يبكي، وتعبَّد في زاويته خمسين سنة، وكان وَرِعاً، عَطِشَ يوماً فجيء بماءٍ [بارد][٢] من دور بعض القُضَاة، فلم يشرب.

وكانت له كراماتٌ، ودُعاء مستجاب، و[كانت له][٢] زوجة صالحة، فكانا يصومان الدَّهْر، ولا يُفْطران إلى بعد العشاء، وأولدَها أربعة أولاد، فسمَّاهم بأسماء الخلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وكانت وفاتُه في ذي القَعدة، فقالت زوجته: اللهم لا تبقني بعده. فعاشت خمسة عشرة يوماً وماتت، وكانت قارئةً للقرآن، وأقرأته هي ويحيى لأولادهم، [سمع يحيى من عبد الوهَّاب الأنماطي وغيره][٢].

أبو العلاء بن [أبي][٢] النَّدى المَعَرّي[٣]

كان شاباً فاضلاً، [له مقطعات من الشعر][٢]، اخترمته[٤] المنية، وله خمس وعشرون سنة، في الزَّلْزلة. وقيل: توفي سنة إحدى وخمسين [وخمس مئة][٢].

ومن شعره في وصف شريفٍ لقبه بهاء الدِّين: [من الكامل]

من أين كان لكُنَّ يا حَدقَ المَهَا ... عِلْمٌ بنَفْثِ السِّحْرِ في عُقَدِ النُّهى
أَمْ مَنْ أعانَ البانَ في مُهَجِ الورى ... فَتْكاً فأصبحَ بالقنا مُتَشَبِّها
يبدو بوَجْهٍ كلَّما قابَلْتَه ... أهدى إليك من المحاسنِ أَوْجُها
فله على القمر المنير فضيلةٌ ... كفضيلةِ القمر المُنيرِ على السُّها
البَدْرُ يَقصُر أَنْ أُشَبِّهَهُ به ... والشَّمسُ تَصغُرُ أَنْ أُشَبِّهَهُ بها
أنتمْ بني الزَّهراءِ أَهْلُ الحُجَّةِ الز ... هْراءِ إنْ فَطِنَ المعانِدُ أَو سها
فإلامَ يُجحدُ في البَرِيَّة حقُّكمْ ... قد آنَ للوَسْنان أَنْ يَتَنَبَّها

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٠-١٨١.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٧١-٧٤.
(٤) في (ش) احتوشته.

ماذا أقولُ ومالوَصفِ علاكُمُ حَدٌّ ولا لنُهاكُمُ من مُنتهى
منكُمْ بدا الشَّرفُ الرَّفيعُ جميعُهُ وإلى بهاءِ الدِّين بعدكُمُ انتهى[1]

وقال أيضاً: [من البسيط]

لا غَرْوَ إن كان مَنْ دوني يفوزُ بكم وأَنْثني عنكُمُ بالوَيْلِ والحَرَبِ
يُدْنى الأراكُ فَيُمْسي وهو مُلْتثِمٌ ثَغْرَ الفتاةِ ويُلْقى العُودُ في اللَّهَبِ[2]

وقال في مروحة[3]: [من المتقارب]

وقابضةٍ بعنانِ النَّسيم تُصَرِّفُه كيفَ شاءَتْ هُبوبا
إذا أقبلَ القَرُّ كانتْ عدوًّا وإنْ أقبلَ الصَّيفُ كانت حبيبا[4]

السَّنة الثالثة والخمسون وخمس مئة

فيها اتَّفق محمد شاه، وأخوه ملك شاه، وأمدَّه بعسكرٍ، فسار إلى خُوزستان ففتحها، وأبعد عنها شملة التُّرْكماني.

وخَرَجَ الخليفةُ إلى مشهد الحسين عليه السَّلام، فزاره، وأحسن إلى المقيمين به، ومضى إلى واسط، وأزال المكوسَ عنها، ونَظَر في أمر الرَّعية، وعاد إلى بغداد، وخَلَعَ على قويدان، وبعثه إلى بلاد البقش، فنافق، ومضى إلى ملك شاه، وقَبَضَ الخليفة على منكورس نائب السُّلْطان سنجر ببغداد، واستصفى أمواله، وأموال سنجر، وكانت عظيمةً.

وفيها نازل نورُ الدِّين قلعة حارم، وأقام عليها أيَّاماً، فلم يَقْدر عليها، فرحل عنها، ثم عاد بعد ذلك، فحصرها وفتحها، [وسنذكره][5].

وفي سَلْخ صفر نزلتِ الفرنج على داريَّا، فأحرقوها ونهبوها، وكانوا جاؤوا بغتةً، وخرج إليهم أحداثُ دمشق فقاتلوهم، فأقاموا إلى الليل ورحلوا، وأحرقوا جامعها، وعادوا على الأقليم.

وحَجَّ بالنَّاس قيماز.

---

(١) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٧١-٧٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٧٢-٧٣.

(٣) في (م) و (ش): ومن شعره في مروحة.

(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٧٣ من جملة أبيات مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٥) ما بين حاصرتين من في (م) و (ش)، وانظر حوادث سنة (٥٥٩هـ).